الفصل الأول

مقدمة

"عندما ينظر بعض الناس إلى غرفة مليئة بالمقاعد المواجهة لمنصة عالية في مركزها، يشعرون وكأنهم يرون ديناصورًا".

(يونغ Young 1997)

"إننا لا نشهد تقدماً ملحوظاً في أسلوب التدريس الذي نتبناه، بالرغم من الإمكانات التي قد تتيحها التكنولوجيا الجديدة".

(لوري لاند Laurillard 2002:20)

لقد أثار الجدل اعتبار وسائل الاتصال عبر استخدام الحاسوب التغيير الأهم في تقنية وسائل الاتصال في الـ ١٥٠ سنة الأخيرة. (دي لاسولابول de la sola pool 1984). إذ أحدث ازدياد استخدام الحاسوب الشخصي والانترنت تغييرات كبيرة في المجتمع إضافة إلى التحول الذي تسببه الشبكات الرقمية ووسائل الاتصال الإلكترونية في أساليب عملنا وإعادة تشكيلها لأساليب حياتنا وتواصلنا مع بعضنا. حيث كان لهذا التحول أثراً كبيراً في الحاجة للتعلم وفرص التعلم. ولسوء الحظ فإن نموذج نقل المعلومات بهدف التعلم والذي لا يزال مسيطراً على عملية التعليم لم يشهد تغيراً ملحوظاً.

وبالرغم من الانتشار الواسع لوسائل الاتصال عبر الحاسوب في المجتمع، إلا أننا لم نشهد بعد أية تحولات كبيرة تحدثها هذه الوسيلة ولا سيما فيما يتعلق

بأثرها على التعلم الإلكتروني. فنحن لا نزال على حد قول جون سيلي براون (٢٠٠٠) في مرحلة التطور التدريجي لهذه الوسيلة ولم نشهد بعد تأثيرها الهائل. فالتعلم الإلكتروني لا يزال في مراحله وأشكاله الأولية ولا نزال نحتاج إلى معرفة كبيرة بقدراته الحقيقية وكيفية ابتكار "بيئة تعليمية" جديدة "براون ٢٠٠٠). والسؤال هنا: ما هي مزايا التعلم الإلكتروني وهل هي بهذه القوة التي تجعلها قادرة على إعادة صياغة مفهوم عملية التعلم والتعليم؟ ربما يعود عدم تأثر التعليم بشكل كبير بتقنيات وسائل الاتصالات، والتي أدت إلى تحولات كبيرة في المجتمع في مجالات أخرى، إلى عدم قدرتنا على التعامل مع هذه البيئة التعليمية الجديدة.

وكما ذكرنا سابقاً فإن التعلم الإلكتروني ببساطة ليس مجرد تقنية جديدة إما أن يتم تبنيها تماماً أو رفضها وكما سنناقش في فصول لاحقة، فإن التعلم الإلكتروني يمثل فئة مختلفة جداً ونمطاً جديداً للاتصال. وبما إن وسائل الاتصال هي العنصر الأساسي في كل أشكال العملية التعليمية، لذا سيكون لأثرها على أنظمة التعليم وعلى المدرسين والمتعلمين أهمية كبيرة. إذ إن تكرار وتقليد الأساليب التقليدية في التعليم وجهاً لوجه لن يحقق نتائج فعالة. فلو أننا نشهد حقاً بيئة تعليمية جديدة، فإن تقليد الأساليب السابقة المختلفة لن يجدي نفعاً. فلن تفوتنا فقط فرص تطوير العملية التعليمة، بل إن تقليد الأساليب التقليدية سيمنع الاستفادة من المزايا التي يتمتع بها هذا العصر الجديد للتعلم.

ومما لا شك فيه أن التعلم الإلكتروني سيحدث تحولاً في أنماط التعليم والتعلم في القرن الحادي والعشرين. فعلى الرغم من أن تأثير التعلم الإلكتروني في المؤسسات التعليمية التقليدية كان ضعيفاً - وهو في الحقيقة لا يتعدى كونه تحسيناً بسيطاً جداً في الأساليب الحالية - لكن إذا توصلنا إلى فهم أفضل وأعمق لإمكاناته ومزاياه، فإن التعلم الإلكتروني سيحقق تحولاً فعالاً في

الأساليب المتبعة في عملية التعلم والتعليم (غاريسون وأندرسون ٢٠٠٠). كما يحول التعلم الإلكتروني عملية التعليم بشكل يفوق قدرة الأساليب التقليدية على نقل المعلومات وإيصالها بشكل فعال وأمثل؛ ولذلك لا يمكن لأي من الملتزمين بتحسين عملية التعلم والتعليم تجاهل مفهوم التعلم الإلكتروني.

سيقدم هذا الكتاب فهماً عميقاً للتعلم الإلكتروني بينما يبحث في إمكاناته الفريدة في دعم مجتمعات المتعلمين البناءة بالتلازم مع النماذج المتبعة للتعليم العالي. كما سنقدم مفهوماً مترابطاً للتعلم الإلكتروني وسنستخدم عبارة تعلم الكتروني بأسلوب شامل. فالتعلم الإلكتروني بالتعريف هو تعلم عبر شبكة الانترنت يتم بشكل رسمي باستخدام تقنيات متعددة الوسائط. وهكذا سنركز ضمن هذا المعيار الواسع على الميزة التعليمية الرئيسية لهذه التقنيات لدعم التعلم التفاعلي غير المتزامن.

حقيقة جديدة

إن الانترنت هو أساس التحول الذي يسببه التعلم الإلكتروني. إذ ذكرت هيئة التعليم عبر الشبكة الإلكترونية في الولايات المتحدة في تقرير لها الشبكة ما يلي:

● لم يعد السؤال فيما لو كان بالإمكان استخدام الانترنت بهدف تغيير عملية التعلم بأساليب جديدة فعالة. إذ وجدت الهيئة دليلاً على ذلك، ولكن الهيئة تطلب من الكونغرس والإدارة الجديدة تبني جدول أعمال "خاص بالتعلم الإلكتروني" كمحور أساسي في سياسة التعليم الفيدرالية للأمة.

"تموز - يوليو ٢٠٠١"

وأوصى التقرير بأن أي برنامج ابتكار وتطوير موسع يجب أن يعتمد على فهم أعمق لعملية التعلم ووسائله، وكيفية دعم الأدوات الجديدة وتقييمها لمكاسب

التعلم، وأنواع البنى التنظيمية الداعمة لهذه المكاسب، وما نحتاجه للحفاظ على تقدم حقل التعلم".

وعلى نحو مشابه ذكرت الجمعية الاستشارية للتعلم عبر الانترنت بأنه لابد من أن يكون التركيز على نوعية "جودة عملية التعلم" (٢٨: ٢٠٠٠) ولضمان هذه الجودة لابد من الاهتمام بها واستيعابها بشكل جيد. وكذلك أشارت إلى وضوح مبشرات التعلم الإلكتروني وتجاهلها يعد مخاطرة ويتضمن عملية التعلم الإلكتروني "التزاماً جدياً بإدراك المزايا المختلفة جداً لهذه الوسيلة وطرق استخدامها بشكل أكثر فعالية وفائدة لنشر المعارف التعليمية".

كما يعد التعلم الإلكتروني نظاماً مفتوحاً. فبواسطة الانترنت، تصبح عملية التعلم والتعليم عرضة لاستيعاب كميات هائلة جداً من المعلومات يصعب قياسها. هذا الانفتاح هو محور اهتمام المدرسين والمتعلمين، ومع ذلك فقد لا يكون بذات الفاعلية والكفاية دائماً. ويتيح الانفتاح للقوى المحافظة وأصحاب الرؤى الضيقة وصولاً غير مقيد للأفكار والمفاهيم المختلفة. إلا أنه لابد أن يكون هناك تأثيرات ثابتة ومحدودة إذا روعي في التعلم الإلكتروني الحفاظ على الهدف وروح المشاركة، ناهيك عن القدرة على الاستمرارية.

كما تتجاوز الميزة الرئيسة للتعلم الإلكتروني مجرد إتاحته استخدام المعلومات عبر الإنترنت إلى ميزاته التفاعلية وكونه وسيلة للاتصال. إن هدف التعلم الإلكتروني النوعي هو مزج التنوع بالترابط لإيجاد "بيئة تعلم" قوية فكرياً. وهذه القدرة على التفاعل تتجاوز عملية نقل المحتوى ذات الاتجاه الواحد وتوسع آفاق تفكيرنا بشأن وسائل الاتصال بين البشر المعنيين بالعملية التعليمية.

ومنذ زمن ليس ببعيد، كان استقلال المتعلم المتزايد بتعابير الوقت والمسافة يعني خسارة موازية للتفاعل وازدياد انعزاله. إذ بدا التفاعل والاستقلال لفظين

متناقضين. فلابد أن تؤدي زيادة أحدهما إلى خسارة في الآخر. ولذلك تتمحور القوى التحويلية للتعلم الإلكتروني حول هذه المسألة. فإمكاننا الآن توفير الحرية والسيطرة في مجتمع متعلمين نابض بالحياة. إذ يدرك التعلم الإلكتروني ويكمل المظاهر الخاصة والعامة للعملية التعليمية. وسنكتشف ذلك في فصول لاحقة تتناول التعلم التفاعلي البناء والخطاب والتفكير النقدي (دراسة عملية).

ولإدراك إمكانات التعلم الإلكتروني كنظام مفتوح ومتماسك في الوقت نفسه، من الضروري إعادة النظر في أساليب التدريس، فالتعليم هو تناول لأفكار وليس لحقائق. وكذلك فإن الطلاب في مؤسسات التعليم العالي لا يتلقون الخبرات التعليمية التي يحتاجونها لتطوير مهاراتهم التعليمية العليا للتعلم مدى الحياة. كما أن ثمار التعلم لا تزال عموماً دون المستوى القياسي بالتطلع إلى متطلبات القرن الحادي والعشرين. إذ اتخذ التعليم التقليدي الجامعي الذي يتم في قاعات محاضرات كبيرة واختبارات موضوعية قياسية صفة صناعية. ويعتمد أسلوب المحاضرة بشكل أساسي على نقل المعلومات وليس على تشجيع التفكير النقدي أو حتى فهم الأفكار. وإن إمكانية الوصول إلى المعلومات ليست المشكلة هنا. إذ نستطيع الوصول إلى كم كبير من المعلومات قد لا نستطيع معالجتها كلها. وكذلك فإن القوى التحويلية للتعلم الإلكتروني وقدرته على تطوير العملية التعلمية لا تعتمد على إتاحة الوصول إلى المعلومات. فالمطلوب هنا هو ما يقدمه التعلم الإلكتروني وهو طرق أفضل لمعالجة المعلومات وفهمها وإعادة صياغتها. وهكذا فإن المفاهيم السلبية التقليدية للتعليم العالي في نقل المعلومات تتعارض مع الإمكانات البناءة والتفاعلية للتعلم الإلكتروني.

بينما يدعم التعلم الإلكتروني ويطور الأساليب المتبعة حالياً، كأسلوب المحاضرة، إلا أن التأثير الحقيقي سيتجلى في إيجاد مفاهيم جديدة لإدراك

المزايا والقدرات التفاعلية للتعلم الإلكتروني والاستفادة منها. وقد يكون ذلك في الواقع كسيناريو العودة إلى المستقبل إذا ما عدنا إلى الخبرات التعليمية المؤسسة في مجتمعات المتعلمين. وهو مجتمع تدرك فيه التجارب والأفكار الفردية وتناقش في ضوء المعرفة والمعايير والقيم الاجتماعية. مجتمع لا تعد فيه تعابير الاستقلال والتفاعل تعابيراً متناقضة بل تعد العناصر الأساسية لتحول موحد ونوعي في عملية التعليم.

لابد للتعلم الإلكتروني حتى يحتل مكاناً مهماً في التعليم من أن يكون أكثر من مجرد وسيلة للوصول إلى المعلومات أو المحتوى بشكل مناسب. وقد بدأت مؤسسات التعليم العالي تدرك ببطء بأن محتوى العملية التعليمية لن يحدد وحده التعلم النوعي بل إن الأسلوب - أي كيفية تأسيس المعلمين للعملية التعليمية. وعمليات التفاعل والتواصل التي تقود عملية التعلم - هي التي تميز في النهاية هذه المؤسسات. إذ إن التجربة التعليمية النوعية هي عبارة عن تكامل حقيقي وتام للمحتوى والأسلوب الذي يؤسسه ويسهله وجود خبراء في عملية التنظيم وأساتذة متمكنين في أساليب التدريس. ونعبر عن هذه النظريات في نموذج الاستطلاع العملي الذي نضعه وفي مناقشة الحس الاجتماعي والإدراكي الذي يعمل عبر الحس التعليمي.

ويميز عملية التعلم الإلكتروني من وجهة نظر المؤلفين البيئة غير المتزامنة للتعلم ولو أردنا تحقيق تعليم نوعي علينا الاهتمام بهذا الأسلوب وهذه العملية. فإمكانية الوصول الملائم وغير المحدود للمعلومات ليست موضوع نقاشنا. بل تلك الإمكانات القوية جداً هي التي تثير في بعض الأحيان قلقنا. إذ إن تصفح الانترنت، الذي لا يتعدى كونه مجرد التأمل في مكتبة، لا يعد خبرة تعليمية ومن الحماقة اعتباره أكثر من مجرد تسلية أو تمضية للوقت.

إلا أن جوهر التعلم الإلكتروني هو في كونه عملية تعاونية (تفاعلية) وبناءة. وبذلك يكون للتعلم الإلكتروني شأناً مهماً حيث يعزز ويغني الأسلوب والمحتوى. والتحدي هنا هو في تصميم وإيجاد المحتوى، بمستويات مناسبة من الحس الاجتماعي، الملائم للمحتوى والذي يرافقه دعم للأهداف التعليمية التي تعزز الحس الإدراكي وتحقيق النتائج المبتغاة من تعليم نوعي. فعندما ندرك خصائص وإيجابيات التعلم الإلكتروني ونعمل على تطبيقها، سنتوصل إلى تعلم أمثل وسنحقق جودة الحس الإدراكي بشكل يصعب التفوق عليهما.

أساطير

يتحدى هذا الكتاب الأسطورة القائلة إن التعليم العالي في يومنا هذا يشمل مجموعة من المتعلمين يسعون لتحقيق أفضل نتائج متميزة في التعلم. ومن المبالغة والبعد عن الحقيقة القول على أن مجتمعات المتعلمين في التعليم العالي اليوم تحث الطلاب على التعلم بطريقة مثلى وعلى معالجة المعلومات بشكل فعال ومتعمق.

في منتصف الثمانينيات تحول الحاسوب الشخصي إلى واقع جديد أصبح في متناول شريحة كبيرة ومتزايدة من الناس. وهو اليوم السطح البيني الرئيس للانترنت والمواقع الإلكترونية العالمية، ولذلك فهو يحدث تحولاً في عملية التعلم والتعليم.

وقد بدأنا الآن نكتشف وندرك مدى تأثير هذه التقنيات في تغيير مفاهيم وطرق التعلم. فمع انتشار تقنيات وسائل الاتصال بأشكالها المتعددة (نصية، ومرئية، وصوتية مثلاً)، إلا أننا ما زلنا في المراحل الأولى من التحول النموذجي الحقيقي ولم نشهد تأثيره الكامل بعد. وربما يكون للتعلم الإلكتروني أو التعلم عبر الشبكة الأثر الأعظم في التعليم والمجتمع. لاسيما أنه يقدم أدوات عملية لتعلم تفاعلي لكن غير متزامن، مع أن هذين اللفظين (تفاعلي وغير متزامن) يبدوان لفظين لا يجتمعان.

دعت التطورات التقنية التي نتحدث عنها المعلمين إلى إعادة النظر ليس فقط في طريقة فهمنا لعملية التعلم بل في إمكانية وضرورة استخلاص ثمار جديدة من التعلم كنتيجة لتلك التطورات. إذ ستوجد وسائل الاتصال العالمية في مجتمعات التعلم الرئيسة فرصاً لتطور المعرفة متعددة الثقافات.

كما أضاف عصر المعرفة وعلم الاقتصاد الجديد إلى قدرات التعلم والتفكير، والتحدي هنا هو كيفية تحويل المعلومات الإلكترونية إلى معرفة بشرية. ولا تعد تلك مشكلة تقنية بل اجتماعية تتطلب حلاً تعليمياً. ويكمن هذا الحل في تكامل المفاهيم التعليمية الفعالة والعناصر التقنية المبتكرة. والتعلم الإلكتروني هو محور هذا الحل بقدرته على إيجاد مجتمعات متعلمين غنية بأسلوب غير متزامن في أي وقت وأي مكان.

أما الأسطورة الأخرى فتقول أن التقنية هي مجرد وسيلة لنقل المعلومات. إلا أن هذا المفهوم المبسط يتجاهل الخصائص والقدرات أو حتى الإمكانات التي يمثلها التعلم الإلكتروني والقادرة مثلاً على إعادة صياغة مفاهيمنا لعملية التعلم. فالأمر الأهم بلا شك هو النموذج التعليمي الذي نتبعه. وكذلك فإن طبيعة خيارات وسائل الاتصال المتاحة قد تؤثر بشكل كبير على الإمكانات التعليمية. ويتضح ذلك بشكل جلي عندما نقارن بعض طرائق التعليم عن بعد كالمراسلات والتخاطب عبر الصوت والصورة. فالأولى تعتمد بشكل عام على وسيلة اتصال كتابية غير متزامنة بينما تستخدم الأخرى وسيلة مرئية شفوية متزامنة. أما التعلم الإلكتروني فيدعم كل من وسائل الاتصال المتزامنة وغير المتزامنة بأشكال متعددة نصية أو صوتية أو مرئية. علاوة عن كونه يتميز بقدرته على دعم التفاعل او التواصل النصي بعيداً عن ضغوط الزمن والمسافة.

وعلى الرغم من أن التعلم الإلكتروني قد حاز على اهتمام كبير، إلا أن انتشاره وتبنيه قد سبق استيعابنا لهذه التقنية بشكل جيد من منظور تعليمي.

إذ إن قيمته الفعلية ليست في اتاحته إمكانية الوصول الأسرع إلى المعلومات. بل تكمن في قدرته على تسهيل عملية التواصل والتفكير وبالتالي التوصل إلى المعرفة واستنباط المعنى. لذا لا يفاجئنا القول بأن معظم الأبحاث التي بحثت في استخدام التقنية لأهداف تعليمية لم تثبت فروقاً جوهرية بين نتائج التعلم باستخدام الوسائل التقليدية أو الوسائل المطورة تقنياً. فكيف نجد فروقاً كبيرة ونحن لا زلنا نتبع الأسلوب ذاته الذي طالما اتبعناه (في أنشطة التدريس والتعلم) مع اختلاف وسيلة الاتصال أو تحسين الطرق باستخدام تكنولوجيا مسلية ومغرية بصرياً.

يمكننا أن نفترض هنا أن تقنيات وسائل الاتصال تمتاز بنقاط قوة ونقاط ضعف. على حد قول تشاندلر (١٩٩٥)، فإن استخدام أية وسيلة جديدة له ثمن معين إما أن يؤدي إلى تطوير التجربة أو تعقيدها، إيضاحها أو تشويهها، أو حتى إظهارها أو تجاهلها وإخفائها. وحتى الآن لم يع المعلمون أهمية المزج بين أنظمة الرموز، كالوسائط المتعددة، وأنظمة الاتصال النصية التي توفر أنماطاً وأشكالاً جديدة للتواصل والتعبير: لذا ينبغي أن نوجه اهتمامنا نحو استكشاف وفهم خصائص تقنية التعلم الإلكتروني.

يمكن أن نألف البيئة الملتصقين بها لدرجة أننا لا نعي مانفتقده منها. وطالما أننا لا نعي خصائصها، لا يمكننا القول بأن لدينا "خيارات" في كيفية استخدامها.

"تشاندلر ١٩٩٥: ١٠"

قد لا يكون هناك تبني عقلاني للتعلم الإلكتروني دون تقدير للمكاسب والخسائر التي يسببها. فالتقنية تكون تجاربنا ونظرتنا للعالم من حولنا بشكل مختلف. والتعلم الإلكتروني ليس مجرد وسيلة جديدة فحسب. بل إنه سيغير

خبرتنا ومفهومنا حول التعلم. ولكن لا يمكننا أن نحدد تماماً متى سيحدث التأثير الكامل لهذا التحول ولا حتى قوى التحول التي ستؤدي إلى استخدام التعلم الإلكتروني بطرق جديدة تماماً (طرق تؤدي إلى تحول نوعي كبير في عملية التعلم ومكاسب تتعدى مجرد الوصول إلى المعلومات تستند إلى أسس تعليمية بدلاً من كونها مجرد مواقع الكترونية مسلية وغير تعليمية. ففي "عصر المعرفة الهائلة" "غلبرت ٢٠٠٠" لسنا بحاجة إلى وسيلة تتيح لنا الوصول إلى كم أكبر من المعلومات)، بل علينا أن نتعلم الإبحار في بحر المعلومات واستيعابها تماماً.

مما لا شك فيه أن التعلم الإلكتروني يقدم إمكانية غير محدودة لتوسيع آفاقنا التعليمية. ولكن هذه الفرضية تستند إلى إمكانية التعامل مع الأساطير المتعلقة بالتعليم العالي وغيرها من مراحل التعليم. فنحن لسنا بصدد إيجاد مجتمعات جذابة للتعلم مسؤولة عن معالجة وبناء نتائج مهمة وعميقة لعملية التعلم. بل علينا أولاً إعادة النظر في مفاهيمنا التعليمية (الفصل التالي) وأن نبدأ بتقدير الإمكانات والقدرات الفعالة لوسائل الاتصال القادرة على دعم وتعزيز العملية الهادفة إلى تطوير المكاسب النوعية للتعلم. ليس مجرد الوصول إلى المعلومات ومحاولة استرجاع أجزاء مجزأة منها.

خاتمة

تحدث تقنية وسائل الاتصال الإلكترونية تحولاً في عملية التعلم والتعليم بأدواتها المتعددة الوسائط من نصية ومرئية وصوتية وقدرتها على تحقيق التفاعل والتواصل دون اعتبار للزمن والمسافة. وبالرغم من هذا التأثير الكبير، إلا أن تطورات تقنية وسائل الاتصال وتبنيها في المؤسسات التعليمية بشكل عام قد سبقت إدراكنا لكيفية استخدامها بهدف دعم العملية التعليمية. إذ سنكون مستقبلاً بصدد تقييم قدرة هذه الوسائط على إتاحة الوصول إلى المعلومات

وفهمها كأساس للمعرفة. ويكمن ذلك في القدرة على بناء وصياغة وتنظيم المعرفة. ويعتبر ذلك تحدياً كبيراً لا سيما أننا لا نملك أية قواعد أو صيغ بسيطة لصياغة ونشر تجربة التعلم الإلكتروني بشكل فعال. ومع أن هذا الأمر صحيح في معظم الخبرات التعليمية إلا أن التعلم الإلكتروني محاط بالمتغيرات والاختلافات والفروق التي ترافق العمليات الفعالة والعميقة للتعلم الإلكتروني. كما أن تعقيدات محتوى التعلم الإلكتروني وخصائصه المميزة في دعم مجتمعات الاستطلاع لا تكيف نفسها مع حلول سهلة ومبسطة، بل تتطلب وجود مدرس يتمتع بالمعرفة الكافية والذكاء والبصيرة لترجمة القواعد والأدلة إلى مادة تتناسب مع أساليب التعلم الإلكتروني المميزة والفريدة وحالاتها الخاصة والطارئة. ويستلزم ذلك قدرات كبيرة على التفكير الحاسم لا تشبه تلك التي تعد أهدافاً للتعليم العالي.

ففي معالجة لتعقيدات التعلم الإلكتروني بشكل واقعي، علينا أن نضع نظاماً تصورياً وقواعد وأدلة قيمة يمكن تعميمها واستخدامها من قبل جميع المدرسين المختصين. ولذلك على القارئ استخلاص مدلول الأفكار التي نعرضها في كتابنا من هذا المنظور. كما ينبغي على المعلم فهم هذه الأفكار والمفاهيم وترجمتها لتطبيقها بأسلوب مبرمج بهدف إدراك الأهداف المبتغاة من تجربة التعلم الإلكتروني.

لابد أن نبدأ أولاً بالسؤال التالي "ما هي الفرص والخيارات التي سيتيحها أمامنا التعلم الإلكتروني ولم نكن ندركها من قبل. وهل بإمكان الشبكات وطرق التدريس التفاعلية تحقيق نوعية وجودة خبرة التعلم؟". إذ يهدف هذا الكتاب إلى تغيير نظرتنا وأسلوبنا في فهم هذه الخبرة. ولا يهدف هذا الكتاب إلى استبدال طرق التدريس للتقليدية (وجهاً لوجه) كالمحاضرات مثلاً بالتعلم الإلكتروني

للحصول على كم أكبر من المعلومات غير المفهومة. ولا يهدف أيضاً إلى تمكين الطلاب من استخدام ذات الطرق غير الفعالة ولكن في بيئة مختلفة.

وهكذا نجد أنفسنا لم نحقق تقدماً ملحوظاً، إذ إن الأنشطة التي تحدثنا عنها سابقاً قد عرفت الحالة الراهنة وعززت الاستراتيجية الدفاعية في التعليم العالي. ذكر مارشال مكلوهان (١٩٩٥) بأن محتوى أية بيئة جديدة يكون دائماً في بداية الأمر نفس محتوى البيئة القديمة؛ ولذلك كان أول استخدام للسينما في تسجيل المسرحيات، وأول استخدام للإنترنت كان في البريد الإلكتروني. وكذلك فإن أول استخدام للشبكة في الحقل التعليمي كان في نشر المادة التعليمية "المحاضرات" واستبدالها بالمناهج الورقية. أما الآن علينا تجاوز هذه التطبيقات الأولية وتطوير بيئة جديد للتدريس باستخدام إمكانات الاتصال عبر الوسائط المتعددة وتخزين واسترجاع كميات كبيرة جداً من المعلومات.

فالتعليم سيكون بلا جدوى إذا اقتصر على مجرد نشر المعلومات دون تقييم جدي وفعال وإنشاء بنى قيمة للمعرفة ترمي إلى تحقيق الأهداف المستقبلية لعملية التعلم. فليس الهدف ببساطة الترويج لاستخدام التعلم الإلكتروني بل الهدف والفائدة المرجوة هو فهم طبيعة عملية التعلم الإلكتروني والإمكانات التي يمثلها وتطبيقاته في مجال التعلم والتعليم. فالتعلم الإلكتروني ليس عبارة عن "برنامج ثقافي ترفيهي" وحسب.

ومن الملحوظ أن التعليم العالي يعود باستمرار إلى أصوله وجذوره من خلال التركيز على القيم والممارسات الخاصة بالمفاهيم والأساليب التفاعلية لعملية التعلم. وهي ردة فعل واضحة على أساليب التعليم الفردية السائدة التي كانت العوامل الاقتصادية والمادية سبباً أساسياً لانتشارها وتطورها خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين. ويرافق ذلك إدراك أهمية استنباط وبناء المدلول

الشخصي عن طريق إتاحة فرص لاختبار أفكار الفرد ومدى استيعابه في سياق اجتماعي وتطبيق الحلول والأفكار الجديدة بطرق ملائمة. وربما آن الأوان لإعادة صياغة "الديناصور" التعليمي واستخدام تقنيات التعلم الإلكتروني للابتعاد عن الأسلوب النمطي في نقل المعلومات.

الجزء الأول

الإطار التصوري

يهدف هذا الكتاب إلى تقديم إطار عمل لفهم التعلم الإلكتروني وتطبيقه في التعليم العالي. ومن ثم نسترشد بهذا الفهم في إجراء الأبحاث الخاصة بالتعلم الإلكتروني، وكذلك استخداماته بهدف تسهيل عملية التعلم عالي المستوى، وعلى أي حال علينا إيضاح القيم والأفكار الأساسية التي يستند إليها هذا الكتاب قبل أن نستطيع بناء إطار نظري مترابط ومنطقي ومعقول. وهذا هو محور بحثنا في الفصل القادم.